علم الحديث ورواده بالأندلس
خلال القرن السادس والسابع الهجري

أ.بوداعة نجادي
جامعة تلمسان.

السنة هي ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال و أثار ، وأقواله هي ما أصبح عبى تسميته بالحديث ، وهي تعد المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم وهي تكملة له، حيث لا غنى عنها. في فهم القرآن و أحكام الدين لذا إنصبت جهود العلماء على العناية بها رواية ودراية ، فالفت فيها المؤلفات العظيمة التي ضلت غررا في جبين التاريخ تشهد بعظمة الأمة المسلمة التي حفظت حديث نبيها وتفردت بمنهج في النقل لم تدانيها فيه الأمم الأخرى.

والحديث النبوي يتكون من قسمين الإسناد و هو سلسلة الرواة أو الأساس الذي يؤيد صحة الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتناقله في سلسلة متصلة من العدول و المتن وهو النص المروى .

لم يدون الحديث في القرن الأول الهجري ، خوفا من أن يختلط بالقرآن الكريم في فترة جمعه وظل حملته يروونه، ولكن مع مرور الزمن تعرض للتحريف ، وكثرة الأحاديث

الموضوعة حتى أن بعض العلماء شككوا في معظم الأحاديث ورفضو كل حديث لا يتماشى مع ما جاء في القرآن الكريم مما دفع بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز [1] (99هـ- 101هـ)، بأمر من أهل العلم في بلاد الإسلام بجمعه وتدوينه خشية أن يندثر بموت الحفظة و التابعين وتابعي التابعين فجمعوه [2]

وفي القرن الثالث الهجري تقدمت وسائل التدوين فانتشرت صناعة الورق ، وشجع ذلك علماء الحديث على تدوين الحديث الصحيح بمنهج علمي يقوم على أساس تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها، وذلك بالاهتمام برواة الحديث ومعرفة أحوالهم والاعتماد على بعضهم البعض وتجريح الآخرين، لذلك ظهر علم الجرح ، و التعديل الذي يوضح حالة الرواة من حديث الثقة[3].

وقسم علم الحديث إلى عدة أصناف حيث يسمى الحديث الذي له أسباب الصحة "صحيحا" أما الذي لا يجمع الناس على الثقة لبعض رجال إسناده فيسمى "حسنا" أما الذي يشك في إسناده أو ينسب إلى أشخاص ذوي مذاهب منحرفة فيسمى "ضعيفا" [4]

وعلى هذا الأساس تبنى الأئمة الستة جمع الحديث وتدوينه وتصحيحه وهؤلاء هم الإمام البخاري (ت 259هـ)[5] والإمام مسلم (ت 261هـ) [6]والإمام أبي داوود (ت275هـ)[7]والترمذي (ت 279هـ)[8]، وابن ماجه(ت272هـ) [9] والنسائي(ت 303هـ)[10]

وقد اتجهت همة الناس في الأندلس منذ زمن مبكر إلى دراسة الحديث وهو من العلوم الأولى التي أقبل عليها، وبرزوا فيها والدليل على ذلك العدد الهائل للمحدثين الذين ذكرتهم كتب التراجم. و يعود الفضل في تطور هذا العلم لبقي بن مخلد ومحمد بن واضح ويؤكد هذا الحافظ ابن الفرضي الذي عايش فترتهما وسمع من الكثير من تلامذتهم إذ يقول " بفضل محمد بن واضح وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار الحديث " [11].

وفعلا لقد لعب هذان العالمان دورا كبيرا في القرن الثالث الهجري في مجال الحركة الفكرية و ساعدا على تقدم العلوم الدينية ، و بذل في ذلك جهودا جبارة

فمنذ ذلك الحين بدأ في نشر حديثه ، وقرأ الناس روايته وانتشر الحديث في الأندلس، ثم تلاه ابن وضاح فصارت الأندلس دار حديث واسناد ، وهذا الأخير يعتبر من أبرز علماء الحديث في الأندلس [12] .

وظل الحديث يتطور بفضل مجهودات العلماء إلى أن وصل ذروته في عصر الموحدين، فلم يجر العمل بالحديث بصفة رسمية إلا زمن الموحدين وخصوصا زمن يعقوب المنصور الموحدي الذي كان عالما بالحديث يحفظ متونه وينقلها ، وهو الذي نظم قراءة الحديث وقد ولى الموحدون للحديث إهتمام كبير فظهر عدد هائل من علماء الحديث ومنهم:

أبو القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الأنصاري الأوسي القرطبي المعروف بابن الطيلسان، فقد أخذ العلم عن أمه، أم الفتح فاطمة بنت أبي القاسم الشراد وأبي إسحاق الزوالي وأبي الأصبغ عيسى بن عقاب و أبي بكر عتيق بن قنترال وغيرهم من علماء الأندلس، وكان من جلة المقرئين و متقدمي المجودين ، وكبار المتحدثين المسندين عنى مدة طويلة بشأن الرواية، واشتهر بالضبط والإتقان، تصدر بمالقة للإقراء والتدريس الحديث، فعرف بالثقة والعدالة والنزهة وألف في الحديث وغيره كتبا منها " الجواهر المفصلات في تصنيف الأحاديث المسلسان " وكتاب" زهرات البساتين ونفحات الرياحين في غرائب أخبار المسندين و مناقب آثار المهتدين " ، وكتاب" التبيين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين " ، وكتاب " بيان المنن على قارئ الكتاب والسنن " و توفي في سنة 642هـ [13] .

وإبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن خالد بن عماره الأنصاري من أهل غرناطة، ولد بها سنة 490هـ وبها نشأ ودرس على أعلام عصره بغرناطة وبقرطبة

ومالقه وألميريه وكان ممن تعلم عنهم أبو بكر بن عطية و أبو الحسن بن البادش وأبي عتاب و ابن رشد ، و قد كان بارعا في الفقه و الحديث و القراءات وولى القضاء بغرناطة و لما سقطت دولة المرابطين بالأندلس ، ثم رحل إلى مدينة ميورقة التي كانت تحت سلطة إسحاق بن محمد بن غانية ، فولاه قضائها فانشغل للدرس و الاقراء و توفي في جمادى الأول سنة 596هـ [14] .

ومحمد بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج بن هشام الأنصاري الخزرجي ، ويعرف بابن الفرس من أهل غرناطة تعلم عن أبيه أبي القاسم ، و أبي بكر بن عطية و أبي الحسن بن البادش و أبي القاسم بن ورد و تعلم في قرطبة على ابن عتاب وابن رشد و ابن الوراق و كان فقيها متمكنا في الحديث و القراءات و الرواية من أهل الفتوى ، رحل إلى مرسيه فولى بها خطة الشورى ثم تولى قضاء بلنسيه ، وبفضل علمه وزهده أصبح من أعلام حفاظ الأندلس و قد توفي بمدين إشبيليه في شوال سنة 567هـ [15] .

وكان من أبرز اقطاب الحديث والفقه وفي أواخر العصر الموحدي بالأندلس الإخوان عبد الله وداوود ابنا حوط الله الأنصاري الحارثي، وأكبرهما عبد الله، وهو عبد الله بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمرو بن خلف بن حوط الله الأنصاري الحارثي ولد بأندة من اعال بلنسيه في سنة 549هـ ، ودرس ببلنسيه و مرسيه و قرطبه فبزر في الحديث و القراءات و أخذ عن ابر القاسم بن

حبيش ، أبو القاسم بن شكوال و أبو العباس المجريطي ، و ابن رشد و ابن الجد وأبو إسحاق ابن ملكون و أبو عبد الله بن الفخار و أبو القاسم السهيلي و كان متمكنا في الحديث و متفوقا في الرواية و الظبط ، وكان فوق ذلك كاتبا بليغا و خطيبا بارعا وشاعرا في الوقت نفسه ، وبفضل تفوقه استدعاه الخليفة المنصور لتأديب بنيه ، وقد تولى في أوقات مختلفة قضاء قرطبه واشبيليه و مرسيه وسبته وسلا، وألف كتاب في تسميته شيوخ النجاري و مسلم و أبو داوود و النسائي والترميذي ولكنه لم يكمله،وتوفي بغرناطة في الثاني من شهر ربيع الأول سنة 612هـ[16]

أما أخوه داوود بن سليمان بن داوود ، فقد ولد بأنده سنة 560هـ ، ودرس الحديث عن ابيه و أخيه عبد الله ، فبرع في الحديث و تجول في سائر مدن الأندلس، و رحل إلى سبته و كان خبرا بعقد الشروط أخذ العلم عن أبو العباس المجريطي، وابن بشكوال، و ابو بكر بن الجد ، و أبو عبد الله بن رزقون ، و أبو عبد الله بن الفخار ، وأبو العباس بن مضاء و ابن الفاس وأبو بكر بن أبي زمنين فولي قضاء سبته وألميريه و الجزيرة الخضراء ثم قضاء بلنسيه و مالقه و اشتهر بالنزاهة و العدل توفي بمالقه في السلدس ربيع الثاني سنة 621هـ ودفن قرب أخيه [17] .

ومن علماء الحديث العلامة الشيخ أبو الربيع بن سالم وهو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان الحميري الكلاعي من أهل بلنسيه ، درس القراءات و الحديث و أخذ و روى عن شيوخ عصره مثل أبي العطاء بن نذير أبي القاسم بن حبيش أبي بكر بن الجد وأبي الوليد بن رشد بن الفرس و برع في الحديث و الفقه و الأدب وحسب قول تلاميذه ابن الأبار« إماما في الحديث عارفا بالجرح و التعديل ذاكرا للمواليد و الوفيات ، يتقدم علماء عصره ، متبحرا في

الأدب وكاتبا بارعا وخطيبا فصيحا»،ويصف ابن عبد الملك بأنه كان حافظا للحديث مبرزا في نقده، ظابطا لأحكام أسانيده، شاعرا مجيدا تولى الخطبه بجامع بلنسيه ، وألف عدة مؤلفات والسير و الأدب منها " حيلة الأماني في الموافقات الغوالي" و "تحفه الرواد في الغوالي البدليه والاسناد "، و" المسلسلات من الأحاديث "،و كتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله "،و" مغازي الثلاثة الخلفاء " ، وكتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله، " وبرنامج مروياته " و " جنى الرطب في سنى الخطب " ومؤلفات أخرى في الأدب وجمع شعره في ديوان، كان فوق هذا مجاهدا باسلا يحظر الغزوات و الوقائع ، ويشترك بنفسه في القتال حتى كتب له الاستشهاد في إحدى معارك المسلمين ضد النصارى في بلنسيه في اليوم العشرين من ذي الحجة سنة 634هـ[18].

صناعة الحديث ، و لم يكن أحد ينافسه في حفظ التاريخ إلا القلائل ، و كان فوق ذلك له مشاركة في علم العربية و الآداب و ألف مجموعة في تلخيص أسانيد الموطأ و توفي بمالقه في شهر ربيع الثاني سنة 611هـ[19].

وأبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط، كان محدثا حافظا ، فقيها خطيبا ، تلقى العلم ببلدة إشبيليه عن جلة علمائها وكبار شيوخها أمثال المحدث الكبير أبي الحسن بن شريح ، وأبي حفص بن أيوب ، وطاهر بن عطية وأبي بكر بن مديد و غيرهم .

صنف عبد الحق عدة كتب في الحديث وغيره منها:"الجمع بين الصحيحين "و كتاب في " المعتل في الحديث " وكتاب " المرشد " وكتاب " الجامع الكبيرفي الحديث " وكتاب "معجزات الرسول " وكتاب " الرقائق" و" الأنيس في الأمثال

و المواعظ والحكم و الآداب من كلا م الرسول صلى الله عليه وسلم و الصالحين " و كتاب " الكفاية في علم الرواية " على أن شهرة عبد الحق الإشبيلي تقوم على كتابه الأحكام الشرعية التي عرف بها بين المحدثين ، و انتشرت في جميع الأقطار الإسلامية و كثر تداولها بين الناس و صفه ابن الأبار في التكملة فقال : " كان فقيها حافظا عالما بالحديث و علله ، عارفا بالرجال موصوفا بالخير و الصلاح ، والزهد والورع ، و لزوم السنة ، مشاركا في الأدب و قول الشعر " وتوفي سنة 582هـ[19] .

و أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بابن الفخار المالقي ،ولد سنة 511هـ بمالقه كان من أحفظ أهل زمانه للحديث والفقه و اللغة والآداب، والنحو، صاحب معرفة بعقد الشروط فهو آية في ذلك كله ، فكان يحفظ كتاب الصحيح للامام مسلم ، و كتاب الموطأ للإمام مالك ، و كتاب السنن لأبي داوود وغير من كتب الحديث ، قال عنه تلميذه المحدث الكبير ابن القطان، كان ابن الفخار حافظا للحديث و الفقه ، إماما فيها ، أحفظ للحديث حسن الايراد للمطولات، عارفا بالرجال، مقيدا، يقظا، ولمكانه ابن الفخار العلمية الحديثيه استدعاه الخليفة المنصور سنة 580هـ الى عاصمته مراكش ، من أجل تدريس الحديث للناس بها وخصوصا الطلبة منهم ، فكان صدر في الحديث معروف بحفظه و اتقان الأسانيد ، لهذا كان يعقوب المنصور يجله كثيرا ويقربه إليه و يرفع من شأنه و توفي سنة 590هـ[20] .

ومحمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري النحوي ، ولد ببلنسيه في سنة 563هـ و أصله من سرقسطه ، عني بالحديث و الرواية وبرع في علم اللسان و العربية، و أخذ عن شيوخ عدة منهم أبي الخطاب بن واجب و أبي عمر بن عات و أبي بكر عتيق بن علي، و كان غزير العلم والمعرفة و كان فوق ذلك شاعرا بارعا و توفي في ربيع الأول سنة 610هـ(21).

وأحمد بن يوسف بن عبد العزيز بن محمد القيسي الوراق،من أهل قرطبة ، أخذ عن علماء عصره منهم أبي عتاب ، و ابن رشد و القاضي عياض وكان عالما بالحديث حدث وأخذ عنه الناس ، وتوفي بمراكش سنة 58هـ(22)

وأحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي، من أهل قرطبة، أقام بغرناطة حينا من الدهر ثم رحل إلى بجاية، وكان محدثا متمكنا من الرواية، وكتب في أحكام النبي كتابا سماه

" أفاق الشموس وأعلاق النفوس" وكتاب "مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الايمان " و توفي بمدينة فاس في شهر ذي الحجة سنة 582هـ[23] .

ومنهم أبو عمر أحمد بن هارون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي ، ولد سنة 542هـ من أهل شاطبه ، أخذ عن أبيه و غيره من شيوخ عصره و رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، و استقر بمصر حينا من الوقت فاخذ عن أبي طاهر السلفي، و كان حافظا للحديث يسر د المتون و الأناسيد ظاهرا مع مشاركته في النظم والنثر ، وكان مميزا بالدراية و الرواية و كان من العلماء المرافقين للجيش الموحدي في موقعة العقاب وفي هذه المعركة لقي حتفه في صفر سنة 6هـ[24]. وأحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف بن سلمة الأنصاري من أهل لورقة، وسكن تلمسان، ويعرف بابن الصيقل، درس الحديث وبرع في صناعته، وروى عن ابن الدباغ، وابن بشكوال و ابن الخير وابن الجد ، وكان من أهل الضبط و الإتقان وقد سمع منه الكثير وكان من شيوخه أبا الربيع بن سالم كبير علماء بلنسية وتوفي في محرم سنة 598هـ[25].

الهوامش: :

1- الخليفة عمر بن عبد العزيز : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان ، أبو حفص ولد بحلوان قرية بمصر و أبوه أمير عليها سنة 63هـ و أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع القرآن وهو صغير ، ولما توفي أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوجة ابنته فاطمة بويع بالخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك في صفر سنة 99هـ فمكث فيها سنتين و خمسة أشهر ملا فيها الأرض عدلا ورد للمظالم وسن السنن الحسنة توفي بدير سمعان من أعمال حمص في رجب سنة 101 هـ عن عمر يناهز تسعة و ثلاثون سنة وستة أشهر وكانت وفاته بالسم انظر السيوطي :تاريخ الخلفاء دار الفكر للطباعة و النشر ص 212. 229 .

2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ الفقه الأندلسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1977م، ص: 221.

3- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع نفسه، ص 22.

4- انجل بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د.حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر ط3، 1955م، ص :393.

5- الإمام البخاري (ت226هـ) : هو محمد بن إسماعيل البخاري ولد ببخاري ، كان إماما محدثا والحافظين ألهمه الله حفظ الحديث وهو ابن عشر سنين وارتحل إلى عدد من البلدان لدراسة الحديث حتى تكونت عنده المقدرة على الحفظ و التميز بين الحديث الصحيح و الضعيف و نال تقدير علماء عصره ، ومن مؤلفاته قضايا الصحابة والتابعين ، التاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، التاريخ الصغير الأدب المفرد، الجامع الكبير، المسند الكبير، كتاب الجامع الصحيح وهو من أجل كتبه نفعا وأعلاها قدرا، لكن البخاري قد جمع الأحاديث الصحيحة فقط و رتبها على أبواب الفقه و مكث في تصنيف هذا الكتاب ستة عشر عاما و جمع فيه 2602 من 60.000 حديث .انظر : ابن خلدون : (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد): المقدمة، الدار التونسية للنشر،1984م ص: 409 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمز الذهبي): سير أعلام النبلاء، تحقيق د.شعيب الأرناؤوط ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1992م، ص: 319 – 471.

[6]- الإمام مسلم (ت 261هـ) : هو مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ، تأثر بشيخه البخاري وعرف عنه الحفظ في الحديث و دراسة سير الرواد و صنف في علم الحديث كتب كثيرة منها كتابه الصحيح و كتاب المسند الكبير على أسماء الرجال ، وكتب الجامع الكبير على أبواب ، و كتاب العلل و كتاب أوهام المحدثين أنظر ابن خلدون : المقدمة ص 410.

[7]- أبي داوود (ت 275هـ) : هو سليمان بن الاشعت بن اسحاق الازدي الساجستاني ، رحل في طلب العلم و أخذ عن أهل العراق و الشام ومصر و خرسان و أخذ عن مشايخه البخاري ومسلم وغيرها نال تقدير العلماء ووصفوه بالحفظ التام والعلم الغزير والفهم الدقيق للحديث واستطاع جمع حديث الأحكام وتوفي في البصرة سنة 275هـ – انظر ابن خلدون : المقدمة ص 401 .

8ـ الترميذي (ت 279هـ): هو محمد بن عيسى بن موسى بن الضحاك السلمي و هو صاحب الجامع نال الثقة معاصريه ، و روى عنه الحديث الكثير من العلماء و توفي سنة 279 هـ ، انظر عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق ص 224.

[9]- ابن ماجه (ت 272هـ) : كان ذو علم و اطلاع واسع ، ألف كتاب السنن المشهور بسنن لابن ماجه الذي يوجد فيه الحديث المتواتر أي الذي رواه عدد كبير من الصحابة و التابعين . انظر البغدادي : تاريخ بغداد ج9 ص55.

[10]- النسائي (ت 303هـ) : هو أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائي أحد أئمة الحديث إمام أهل عصره و قدوته في علم الحديث و خصوصا في معرفة الجرح و التعديل ، رحل إلى الكثير من البلدان لجمع الحديث و معرفة أخبار الرواد وقد ذكر علماء الحديث أن سنن النسائي صحيحة تماما . انظر إلى ترجمة ابن كثير : البداية و النهاية ج 11 ص34.

11ـ ابن الفرضي: (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي): تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، القسم الأول، 1966م، ص :302.

[12]- ابن الفرضي : المصدر نفسه، ص :83.

13ـ ابن عبد الملك المراكشي : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1965م.،ج5 ق 2 ، ص: 566، 557.

14ـ ابن الآبار : التكملة لكتاب،الصلة، تحقيق د.عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان،ج1،ج2، ج3،ج4، 1995م، ص :94.

15ـ عبد المالك المراكشي : المصدر السابق ص 372، 375.

16ـ ابن الآبار : المصدر السابق، رقم 2099.

17ـ ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد السليماني بن الخطيب): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يجري ذلك من شجون الكلام، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، القسم الثاني، 1934م، ج1، ص: 511 – 514.

18ـ ابن الآبار : المصدر السابق، رقم 1991.

19ـ عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964م ص :661.

20ـ ابن الآبار : المصدر السابق، رقم 731.

21ـ ابن الآبار : المصدر نفسه، رقم 596، ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، ج 6، ص 87.

22ـ ابن الآبار : نفسه، رقم 1562.

23ـ ابن الآبار :نفسه، رقم 222، ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، ج 1 ص ص : 484– 485.

24ـ عبد الله عنان : المرجع السابق ص 651.

25ـ ابن الآبار : المصدر السابق، رقم 262، ابن عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، ج1 ص:556.

26ـ ابن الآبار: المصدرنفسه، رقم237.